تفسير

سورة ألم نشرح[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ . ذكرنا معنى الشرح عند قوله تعالى : ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام :١٢٥][٢] ، وقوله : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر :٢٢] .

ومعناه في اللغة : الفتح[٣] بإذهاب ما يصد عن الإدراك ، والله -عز وجل- قد فتح صدر نبيه ﷺ بإذهاب الشواغل التي تصد عن إدراك الحق .

---

(١) مكية بالإجماع لا خلاف بينهم في ذلك . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٣٤ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٨٦ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٣أ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٦ .

(٢) قال الليث في تفسيرها : «شرح الله صدره فانشرح ؛ أي وسَّع الله صدره لقبول الخير فتوسَّع» ، وقال غيره : «شرح فلان أمره إذا أوضحه وأظهره ، وشرح مسألة إذا كانت مشكلة فبيَّنها» ، وقال ابن الأعرابي : «الشرح الفتح ، والشرح البيان . . .» .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (شرح) ٤/ ١٧٩ ، ومقاييس اللغة (شرح) ٣/ ٢٦٩ ، ولسان العرب (شرح) ٢/ ٤٩٧ .

قال ابـــن عباس في هذه الآية : «قالوا يا رســـول ، أينـــشرح الصدر ؟ قال : «نعم» . قالوا يا رســـول الله ، فلذلك علامة يعرف بها ؟ قال : «نعم : التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإعداد للموت قبل نزوله»[١] .

فأشـــار ﷺ إلى ذهاب الشـــواغل التي تصد عن حقيقـــة الإيمان ، وذلك أن صدق الإيمان بالله ووعده ووعيده يوجب للإنســـان الزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، والاستعداد للموت ، فإنه باب الآخرة ، وهذا معنى قول الحسن في هذه الآية : «ملئ حكماً وعلماً»[٢] ؛ يعني أن معنى : مَن شرح صدره ؛ أي ملأه الله علماً وحكماً حتى علم حقيقة الأشياء ، وحكم لها[٣] بحكمها على حقيقة الدنيا ، وأنها فانية فتركها ، وأن الآخرة باقية فرغب فيها ، وكذلك كل شيء .

---

(١) الحديث أخرجـــه الطبري في جامع البيـــان : م٥ ٨/ ٢٧ بمعناه من طريق ابن مســـعود ، ومن طريق عبدالله بن المســـور ، وأخرجه الدارقطنـــي في العلل ٥/ ١٨٨ ، ١٨٩ ، رقـــم ٨١٢ بطرق مختلفة عن ابن مســـعود ، وقال : «الصواب عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر عبدالله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ كذلك قال الثوري ، ثم قال : وعبدالله بن المســـور بن عون بن جعفر بن أبي طالب هذا متروك» ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٢٥٧ من طريق خالد بن أبي كريمة ، عن عبدالله بن المسور ، وقال عنه البيهقي : «وهـــذا منقطع» ، وأخرجه أيضاً من طريق عمرو بن مرة عن أبي جعفر المدائني ، وأورده ابن كثير في تفســـيره ٢/ ١٨١ عند تفسير ســـورة الأنعام ، الآية ١٢٥ بطرق مختلفة ، ثم قال : «فهذه طرق لهذا الحديث مرســـلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً ، والله أعلم» ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٣٥٥ عند تفســـير ســـورة الأنعام ، الآية ١٢٥ من طريق ابن مسعود ، ونسبه إلى ابن شيبة ، وابن أبي الدنيا ، وابن جرير ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والحاكم ، والبيهقي في الشعب في طريق عن ابن مسعود ، وأورده الحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق ٤/ ٣١١ .

(٢) ورد في النكت والعيون ٦/ ٢٩٦ ، والكشاف ٤/ ٢٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٤ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٦ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤٧ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) في (أ) : (بها) .

وقال الكلبي : «يقول : ألم يلين قلبك للإسلام ؟ ثم ذكر أن جبريل غسل قلبه بماء زمزم ، وأنقاه مما كان فيه من المعاصي ، وملأه علماً وإيماناً»[١] .

وعلى هذا ، معنى شرح صدره : أنقاه مما كان فيه من حظ الشيطان ، وتخليصه للإيمان ، والإسلام ، والحق ، والتوحيد ، حتى لا يكون فيه للشيطان نصيب . وذكرنا في سورة الضحى سبب نزول هذه السورة .

وقوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ استفهام معناه التقرير ؛ أي قد فعلنا ذلك[٢] ، يدل على هذا قوله في النسق عليه :

٢. ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ . قال المُبرِّد : «هذا محمول على معنى (ألم نشرح) لا على لفظه ؛ لأنك لا تقول : ألم وضعنا ، ولكن معنى : (ألم نشرح) قد شرحنا ، فحمل الثاني على معنى الأول ، لا على ظاهر اللفظ ؛ لأنه لو كان معطوفاً على ظاهره لوجب أن يقال : ونضع عنك وزرك»[٣] ، و(نحو)[٤] هذا قال[٥] صاحب النظم .

---

(١) ورد معنى قوله في بحر العلوم ٣/ ٤٨٩ ، وقد ورد حديث صحيح في معنى قوله . انظر : صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب (٦) ٣/ ٦٣ ح ٣٨٨٧ ، وكتاب مناقب الأنصار ، باب (٤٢) ٢/ ٤٢٢-٤٢٤ ح ٣٢٠٧ ، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٧٤) وغيرهما ١/ ١٤٩ ، ١٥٠ ح ٢٦٤ .

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٥٤٠ : «الاستفهام إذا دخل على النفي قرَّره ، فصار المعنى : قد شرحنا ، ولذلك عطف عليه الماضي» .

(٣) ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ٤ ، وذكر نحوه في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٥ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦١ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (ذكر) .

ومعنى الوزر : ثقل الذنب[١] ، وقد مَرَّ تفسيره عند قوله : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام :٣١][٢] .

قال ابن عباس[٣] في رواية الكلبي ، (والحسن[٤])[٥] ، وقتادة[٦] ، (والضحاك[٧] ، ومقاتل[٨])[٩] : «حططنا[١٠] عنك إثمك الذي سلف منك في الجاهلية ، وهذا كقوله : ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح :٢]» ، وقد مَرَّ الكلام فيه[١١] .

---

(١) قال بذلك قتادة ، وابن زيد ، والحسن ، وجمهور المفسرين . انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٦ .

(٢) مما جاء في تفسيرها : الأوزار : الأثقال ، من الإثم ، قال ابن عباس : «يريد آثامهم وخطاياهم» ، وقال أهل اللغة : «الوزر : الثقل وأصله من الحمل ، يقال : وزرت الشيء ؛ أي حملته ، أزره وزراً ، ثم قيل للذنوب : أوزار ، لأنها تثقل ظهر مَن يحملها» ، وقال أبو عبيد : «يقال للرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع : سأحمل وزرك ، وأوزار الحرب : أثقالها من السلاح ، ووزير السلطان الذي يزر عنه أثقال ما يسند إليه من تدبير الولاية أي يحمل . . . .» .

(٣) ورد في زاد المسير ٨/ ٢٧١ من غير ذكر طريق الكلبي .

(٤) الكشف والبيان ١٣/ ١١٣ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠١ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧١ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦١ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٧ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) الكشف والبيان ١٣/ ١١٣ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠١ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧١ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٤ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦١ .

(٧) ورد في المراجع السابقة عدا التفسير الكبير ، وتفسير الحسن .

(٨) فتح القدير ٥/ ٤٦١ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) في (أ) : (حططت) .

(١١) مما جاء في تفسير قوله : ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ : قال أبو العباس : «وقوله : ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال مقاتل : «يعني ما كان في الجاهلية ، وما تأخر بعد النبوة» . وروي عن ابن عباس : «أي ما كان عليك من إثم الجاهلية ، وما تأخر مما يكون» ، وقال عطاء الخراساني : «(ما تقدم من ذنبك) ؛ أي ذنب أبويك آدم ، وحواء ، ببركتك ، (وما تأخر) : يعني من ذنوب أُمتك بدعوتك» ، وقال سفيان الثوري : «﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ : ما عملت في الجاهلية ، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ : يعني ما لم تعمله» .

ثم وصف ذلك الوزر ، فقال :

٣. ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ . قال المفسرون : أثقل ظهرك ، وهو قول ابن عباس[١] ، ومجاهد[٢] ، وقتادة[٣] ، (ومقاتل[٤])[٥] .

قال علماء اللغة : الأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحِمل سُمع له نقيض ؛ أي صوت خفيٌّ ، كما ينقض الرجل بحماره إذا ساقه ، فأخبر الله (أنه غفر لنبيه ﷺ أوزاره التي كانت تراكمت على ظهره حتى أثقلته ، وأنها لو كانت أحمالاً حملت على ظهره لسُمع لها نقيض)[٦] .

قال أبو إسحاق : «﴿أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ ؛ أثقله حتى سمع له نقيض ؛ أي صوت»[٧] .

وهذا مَثَلٌ ، يعني أنه ممثل بما يثقل حتى يسمع نقيض الظهر .

ويقال أيضاً : أُنقض الظهر ؛ أي صار إلى هذه الحالة ، قال الشاعر :

وحُزن تُنْقِضُ الأضلاعُ منهُ مُقيمٌ في الجَوانحِ لنْ يزولا[٨]

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) تفسير مجاهد ٧٣٦ .

(٣) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨٠ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٣٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٢٤٤أ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) نقله عن تهذيب اللغة (نقض) ٨/ ٣٤٤ بتصرف يسير ، وانظر : لسان العرب (نقض) ٧/ ٢٤٤ ، وتاج العروس (نقض) ٥/ ٩٤ .

(٧) لم أجد قوله في المعاني ، وقد ورد في الوسيط ٤/ ٥١٦ .

(٨) ورد البيت غير منسوب في تهذيب اللغة (نقض) ٨/ ٣٤٥ ، ولسان العرب (نقض) ٧/ ٢٤٤ ، وتاج العروس (نقض) ٥/ ٩٤ .

ويقال[١] : أنقضت المِحْجمة[٢] ، إذا سُـمع لها صوت ، وأنقاض الفرخ من ذلك .

يقال[٣] : أنقض إنقاضاً ، ومنه قول ذي الرمة :

. . . أنقاضُ الفَراريجِ[٤]

قال قتادة في هذه الآية : «كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلته فغفرها[٥] له»[٦] .

هذا الذي ذكرنا في الآيتين على قول مَن يقول : كانت له ذنوب سلفت منه في الجاهلية قبل النبوة[٧] .

---

(١) هذا القـول قاله الليث كما في تهذيب اللغة (نقض) ٨/ ٣٤٥ ، وقد نقله عنه ، وانظر : لسـان العرب (نقض) ٧/ ٢٤٤ ، وتاج العروس (نقض) ٥/ ٩٤ .

(٢) المحجمة : ما يحجم به ، وهي القارورة . انظر : لسان العرب (حجم) ٢/ ١١٧ .

(٣) قال به أبو زيد ، وقد نقله عن تهذيب اللغة (نقض) ٨/ ٣٤٥ .

(٤) البيت كاملاً :

كَـأَنَّ أصـواتَ مَـنْ إيـغـالِـهِـنَّ بِـنـا أواخـرَ الْـمَـيْـسِ أنـقـاضُ الـفَـراريـجِ

وقد ورد في ديوانه ٢/ ٩٩٦ ، انظر : مراجع اللغة السابقة .

الإيغال : المضي والإبعاد . والميس : الرَّحل . والمعنى : يريد أن رحالهم جديدة ، وقد طال سـيرهم ، فبعض الرحل يحك بعضاً ، فيحصل مثل أصوات الفراريج من اضطراب الرحال ، ولشـدة السير . انظر : ديوانه ٣/ ٩٩٦ .

(٥) في (أ) : (يغفرها) .

(٦) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨٠ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٣٤ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٥ .

(٧) سبق القول في مثل هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى :٧] .

وذهب قــوم إلى أن المراد بهذا : الصغائر ، والخطأ ، والســهو ، وإنما وصف ذلك بإنقاض الظهر مع كونها مغفورة لشــدة اغتــمام[١] النبي ﷺ بوقوعه منه ، وتحسره مع ندمه عليه[٢] .

وقــوم يذهبون إلى أن هذا تخفيــف أعباء النبوة التي تثقــل الظهر من القيام بأمرها ، وحفظ موجباتها ، والمحافظة على حقوقها ، سهَّل الله ذلك عليه ، (وحط عليه)[٣] ثقلها بــأن يسَّرها عليه حتى تيسَّرت ، وذكر منَّتــُه عليه بذلك ، (وهذا معنى قول الكسائي[٤] ، وجويبر عن الضحاك)[٥][٦][٧] .

---

(١) في (أ) : (اهتمام) .

(٢) من القائلين بذلك الحسين بن الفضل ، انظر قوله في الكشف والبيان ١٣/ ١١٣ب ، والجامع لأحكام القــرآن ٢٠/ ١٠٦ ، وهو ضمن القائلين بعصمة الأنبياء بعد البعثة مــن الكفر والكبائر ، وفي كل ما يتعلق بالتبليغ . أمَّا صغائر الذنوب والســهو والنســيان فتصدر عنهم كما دل على ذلك ظاهر القرآن والسُّنَّة ، بيد أنهم لا يُقِرُّون على الخطأ ، واذا وقع منهم ذنوب فإنهم يتوبون ، ويكونون أحسن حالاً بعد التوبة ، وهذا هو قول جمهور أهل السُّــنَّة والجماعة . انظر : منهاج السُّنَّة لابن تيمية ١/ ٤٧٠-٤٧٢ ، ومجموع الفتاوى ١٠/ ٣٠٩-٣١٣ ، وانظر أيضاً : منهج الســفاريني في أصول الدين ٢/ ٣٦٤ . قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤/ ٣١٩ : «فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر ، هو قول أكثر علماء الإســلام ، وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحســن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشــعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفســير والحديث والفقهاء ؛ بل هو لم ينقل عن الســلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلَّا ما يوافــق هذا القول» . انظر : منهج السفاريني ٢/ ٣٦٤ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) لم أعثر على مصادر لقوله .

(٥) لم أعثر على مصادر لقوله .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ممــن قال بذلك أيضاً عبدالعزيز بــن يحيى ، وأبو عبيدة ، ومحمد بن المكرم . انظر : الكشــف والبيان ١٣/ ١١٣ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٢ ، ولسان العرب (نقض) ٧/ ٢٤٤ .

٤. قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. قال جماعة المفسرين: «لا ذُكِرْتُ إلَّا ذُكرتَ مَعَي»[(١)].

وشرح ذلك ابن عباس في ما روى (عنه)[(٢)] عطاء، فقال: «يريد الأذان، والإقامة، والتشهد، ويوم[(٣)] الجمعة، وعلى المنابر، ويوم الفطر، ويوم النحر، ويوم عرفة، وأيام التشريق، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وخطبة النكاح، وحول الكعبة، وفي كل موطن، وعلى الدنانير والدراهم، وكلمة الشهادة، ولو أن رجلاً عبدَ الله وصدَّقه في كل شيء، ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء، وكان كافراً»[(٤)]، وإلى هذا أشار حسان بن ثابت في قوله:

وضَمَّ الإلهُ اسْمَ النَّبيِّ إلى اسْمِهِ إذا قالَ في الخَمسِ المُؤذنُ أشْهدُ[(٥)]

ثم وعده اليسر، والرخاء بعد الشدة، وذلك أنه كان بمكة في شدة، وهو قوله:

٥. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. قال الكلبي: «مَعَ الفقر سعة»[(٦)].

---

(١) حكاه عن جمهور المفسرين ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٧٢، وممن قال به ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وأبو سعيد الخدري، والضحاك، ومحمد بن كعب، والحسن، وأنس مرفوعاً، وعدي بن حاتم مرفوعاً. انظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٣٥، والكشف والبيان ١٣/ ١١٣ب، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٧، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦١، والدر المنثور ٨/ ٥٤٨، ٥٤٩.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٣) في (أ): (يوم) بغير واو.

(٤) ورد قوله برواية الضحاك عن ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٦، ١٠٧.

(٥) ورد البيت في ديوانه ٤٧، طبعة دار صادر، وورد في معالم التنزيل ٤/ ٥٠٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٦، ١٠٧، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٩، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦١، وفتح القدير ٥/ ٤٦٢، وروح المعاني ٣٠/ ١٦٩.

(٦) الوسيط ٤/ ٥١٧.

وقال مقاتل : «يعني تتبع الشدة الرخاء»[١] .

٦. ثم ذكر (بعد)[٢] ذلك فقال : ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يقول الله تعالى : (خلقت عسراً واحداً ، وخلقت يسرين ، فلن[٣] يغلب عسر يسرين)»[٤] ، (ونحو هذا قال الكلبي[٥])[٦] .

وقال مقاتل : قال النبي ﷺ : «عند ذلك لن يغلب ؛ إن شاء الله ، عسر واحد يسرين[٧]» . ونحو هذا قال الحسن ، وذكر[٨] أن النبي ﷺ قال : «لن يغلب عسر يسرين» ، وقرأ الآيتين[٩] .

---

(١) المراجع السابقة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٣) في (ع) : (فأين) .

(٤) ورد قوله مختصراً ، ومن غير ذكر عطاء في بحر العلوم ٣/ ٤٩٠ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٢ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه من طريقه عن أبي صالح عن ابن عباس في معاني القرآن ٣/ ٣٧٥ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٧) تفسير مقاتل ٢٤٤أ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦ .

(٨) في (أ) : (ذكروا) .

(٩) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير ، باب سورة ألم نشرح ٢/ ٥٢٨ ، وقال عنه : «إسناده مرسل» ، ووافقه الذهبي ، وقال ابن حجر : «أخرجه عبدالرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن الحسن به مرسلاً ، ومن طريقه أخرجه الحاكم ، والبيهقي في الشعب ، ورواه الطبري من طريق أبي ثور ، عن معمر . وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولاً ، وإسناده ضعيف» . انظر : الكافي الشاف ٤/ ١٨٦ ، وشعب الإيمان ٧/ ٢٠٦ ح ١٣/ ١٠٠ ، وورد في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨٠ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٣٦ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٩٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٤ب ، وفتح الباري ٨/ ٧١٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٧٣ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٢ ، والكشاف ٤/ ٢٢٣ ، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦١ ٥٦٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٥١ .

ويروى[(١)] عن ابن مسعود مثل هذا[(٢)].

وكتب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى أبى عبيدة، وهو محصور أنه مهما تنزل بامرئٍ شدة[(٣)] يجعل الله بعدها فرجاً، فإنه لن يغلب عسر يسرين[(٤)].

---

(١) في (أ): (روى).

(٢) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨١، وجامع البيان ٣٠/ ٢٣٦، وبحر العلوم ٣/ ٤٩٠، والكشف والبيان ١٣/ ١١٤ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٢، وزاد المسير ٨/ ٢٧٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٧، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٨، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٩، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦١. وقال السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٥٥٠، ٥٥١: «ورواه الطبراني، وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن مسعود»، وقد نسبه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في الصبر، والبيهقي في شعب الإيمان. وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١٣: «وأخرج سعيد بن منصور، وعبدالرزاق من حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر الحديث، ثم قال: إسناده ضعيف. وقال أيضاً: وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسناد جيد من طريق قتادة، قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشَّر أصحابه بهذه الآية فقال: «لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله». ورواه الطبراني في مجمع الزوائد في كتاب التفسير (تفسير ألم نشرح) ٧/ ١٣٩، ١٠/ ٨٥ ح ٩٩٧٧، وفيه إبراهيم النخعي، وهو ضعيف.

(٣) في (ع): (شديد).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجهاد، باب (١) ١/ ٣٥٧ موقوفاً على عمر، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير (سورة ألم نشرح) ٢/ ٥٢٨، وقال: «وقد صحت الرواية عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب: لن يغلب عسر يسرين»، ووافقه الذهبي. وقال ابن حجر في الكافي، في الباب عن عمر ٤/ ١٨٦: «ذكره مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن أبيه، وذكر الأثر، ثم قال: ومن طريقه رواه الحاكم، وهذا أصح طرقه»، وقال في فتح الباري ٨/ ٧١٣: «وأمَّا الموقوف فأخرجه مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر أنه كتب إلى أبي عبيدة الأثر، ثم قال: وقال الحاكم: صح ذلك عن عمر، وعلي، وهو في الموطأ عن عمر؛ لكن من طريق منقطع، وأخرجه عبد بن حميد، عن ابن مسعود بإسناد جيد، وأخرجه الفرَّاء بإسناد ضعيف عن ابن عباس». وورد الأثر في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧ بمعناه، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٧، والدر المنثور ٨/ ٥٥٠ منسوباً إلى ابن مردويه عن جابر بن عبدالله قال: «بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاثمائة أو يزيدون، علينا أبو عبيدة بن الجراح... ونزلت: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فأرسل نبي الله إلى بعضنا فدعاه، فقال: «أبشروا فإن الله قد أوحى إليَّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ولن يغلب عسر يسرين».

فهذا قول[١] النبي ﷺ والصحابة ، والمفسرين . على أن العسر واحد ، واليسر اثنان ، وفي ظاهر التلاوة عسران ، ويسران ، إلَّا أن المراد عسر واحد ؛ لأنه مذكور بلفظ التعريف ، واليسر مذكور بلفظ التنكير مرتين ، فكان كل واحد منهما غير الآخر .

أخبرنا ابن الفارسي عن حمد بن محمد البُستي ، قال : «ذكر لنا أبو عمر ، عن ثعلب ، عن سلمة ، عن الفرَّاء قال : العرب إذا ذكرت نكرة ، ثم أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنين ، كقولك : إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً ، والثاني غير الأول ، وإذا أعادتها معرفة فهي كقولك : إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم ، فالثاني هو الأول»[٢] .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج : «ذكر العسر مع اليسر مع الألف واللام ، ثم ثنى [ذكره][٣] ، فصار المعنى : إن مع العسر يسرين»[٤] .

وتكلم صاحب النظم في هذه السورة ، وأنكر هذا التعليل الذي ذكره الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وقال : (هذا قول مدخول ، [لا][٥] يجب على هذا التدريج ، إذا قال الرجل : إن مع الفارس سيفاً ، إن مع الفارس سيفاً ، أن يكون فارس واحد معه سيفان ، ولا يجوز هذا في شيء من العربية ، والصحيح في ذلك أن الله -تعالى- بعث نبيه ﷺ ، وهو مقل ، فكانت قريش تعيِّره بذلك حتى قالوا له : إن كان بك

---

(١) في (أ) : (يقول) .

(٢) لم أجد قوله في المعاني ، وإنما ورد معنى قوله في التفسير الكبير ٣٢/ ٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٢ ، وورد من غير نسبة في معالم التنزيل ٤/ ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ونسبه إلى المفسرين الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١١٤ب ، والخازن في لباب التأويل ٤/ ٣٨٩ .

(٣) (ذكر) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في الأصل لصحته .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤١ .

(٥) (لأنه) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في الكشف والبيان ١٣/ ١١٤ب لصحته .

مـــن هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى[١] جمعنا لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة ، فكرث[٢] النبي ﷺ ذلك ، فظن أن قومه إنما يكذبونه لفقره ، فعدد الله عليه منَّته في هذه السورة ، ووعد الغنى ، وأنزل : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ[٣] صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾» .

أي مـــا كنت فيـــه من أمر الجاهليـــة ؛ لأنه ﷺ كان في كثير مـــن مذاهبه على مذاهـــب قومه ، وإن لم يكن عبد صنماً ولا وثناً[٤] ، ثم ابتدأ في ما وعده من الغنى في الدنيا ليســـليه عما خامره من قول (مَن)[٥] عـــيَّره بالفقر فقال : ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ، والدليل على ذلك دخول الفـــاء في قوله : ﴿فَإِنَّ﴾[٦] ، ودلَّ ذلك على أن التأويل : لا يحزنك ما يقولـــون ، وما أنت فيه من الإقلال ، فإن مع ذلك يسراً في الدنيا عاجـــلاً ، ثم أنجز ما وعده ، فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز ، وما والاها من القرى العربية ، وعامة بلاد اليمن ، وحـــي أهل البوادي ، وكان يعطي المئين من الإبل ، ويهب الهبات [السنية][٧] ، ويعد لأهله قوت سَنَة .

ثم ابتدأ فصل آخر ، فقـــال : ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ، والدليل على ابتدائه[٨] : تعريـــه[٩] من فاء ، أو واو ، أو غيرهما من حروف النســـق ، وهو وعد عام لجميع المؤمنين ؛ لأنه يعنـــي بذلك أن مع العسر في الدنيـــا للمؤمنين يسراً في الآخرة لا

---

(١) في (أ) : (الغناء) .

(٢) كرث : كَرَثه النَعم ، يَكرِثه ، وأكْرَثَه : اشـــتد عليه ، وبلغ منه المشقة . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ١٦١ .

(٣) في (أ) : (لك) ، وهو ضمير زائد على بنية الكلام .

(٤) ما بين شرطتي الاعتراض من قول الإمام الواحدي .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) وذلك لأن الفاء لا تدخل أبداً إلّا في عطف أو جواب . انظر : الكشف والبيان ١٣/ ١١٥أ .

(٧) غير مقروءة في كلتا النسختين .

(٨) في (أ) : (ابتلائه) .

(٩) في (أ) : (تعرية بواو) .

محالة ، وربما اجتمع لـــه اليسران : يسر الدنيا ، وهو ما ذكر في الآية الأُولى ، ويسر (في)[١] الآخرة ، وهو ما ذكر في الآية الثانية)[٢] .

وقوله ﷺ : «لن يغلب عسر يسرين» ؛ أي يسر الدنيا والآخرة[٣] ، والمعنى : لن يجمعهـــما في الغلبة ، إنما يغلب أحدهما إن غلب ، وهـــو يسر الدنيا ، فأمَّا يسر الآخرة للمؤمنين فلا محالة كائـــن ، ولا يغلبه شيء ، والعسرة بين يسرين : إمَّا[٤] فرح في الدنيا ، وإمَّا ثواب الآخرة[٥] . وهذا هو الصحيح في معنى الآية .

وهو أن اليسرين : أحدهما في الدنيا ، والثاني في الآخرة ، إمَّا هذا ، وإمَّا ذاك ، وربما اجتمعتا ، ويدل على صحة هذا ما ذكر محمد بن إسماعيل البخاري[٦] فقال : «قال ابن عيينة : إن مع كل عسر يسراً ، كقوله : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة :٥٢] ، ولن يغلب عسر يسرين»[٧] يعني أن أحد اليسرين يدرك

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) ما بين القوســين من قــول الجرجاني ، انظر : الكشــف والبيــان ١٣/ ١١٤ب ، ١١٥أ ، نقله الإمام الواحدي عن الكشف بتصرف ، وانظر أيضاً : نحوه في زاد المسير ٨/ ٢٧٢ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٩ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) في (أ) : (أنها) .

(٥) وهذا المعنى ورد عن الثعلبي في الكشــف والبيان ١٣/ ١١٥أ ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٣ .

(٦) محمد بن إســماعيل بن إبراهيم بــن المغيرة بن بردزبه البخاري ؛ صاحــب الصحيح ، رحل في طلب الحديث إلى ســائر محدثي الأمصار ، توفي ليلة الســبت (ليلة الفطر) سنة ٢٥٦هـ ، ودفن في خرتنك . انظر : طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٧١ت ٣٨٧ ، وطبقات الشــافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢ ، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٣٠ ت ٥٠٥٩ .

(٧) ورد في الجامــع الصحيح في كتاب التفســير ، باب (٩٤) ٣/ ٣٢٦ بيســير من التصرف ، وتفســير سفيان بن عيينة ٣٤٧ .

صاحب اليسر لا محالة ؛ إمَّا يسر الدنيا ، وإمَّا يسر الآخرة ، كما أن المجاهد في سبيل الله لن[١] يفوته أحد الحسنين .

وذهب بعضهم[٢] في الآية إلى أنه من مظاهر[٣] القول الذي يراد به التأكيد ، كقوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر :٣-٤] ، ونحوه مما تكرر في القرآن[٤] ، وهو في الشعر والكلام أيضاً كثير ، كقول الشاعر[٥] :

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا[٦]

ولمّا وعده اليسر في الدنيا والآخرة ، أمره بالجهد في العبادة ، فقال :

٧. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ ؛ أي فاتعب ، يقال[٧] : نَصِبَ يَنْصَب[٨] .

---

(١) في (أ) : (أن) .

(٢) كابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٣٦ .

(٣) في (أ) : (ظاهر) .

(٤) نحو قوله تعالى : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة :٣٤-٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار :١٧-١٨] . مستفاد من تأويل مشكل القرآن ٢٣٦ .

(٥) البيت لعبيد بن الأبرص .

(٦) ورد البيت في ديوانه ١٤٢ ، طبعة دار صادر ، وتأويل مشكل القرآن ٢٣٦ .

(٧) في (أ) : (فقال) .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (نصب) ١٢/ ٢١٠ ، ولسان العرب (نصب) ١/ ٧٥٨ .

قال قتادة[١] ، والضحاك[٢] ، ومقاتل[٣] ، (والكلبي[٤])[٥] : «إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء ، وارغب إليه في المسألة[٦] يعطيك» ، ونحو هذا روى عبدالوهاب بن مجاهد ، عن أبيه قال : «إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة»[٧] .

وقال الشعبي : إذا فرغت من التشهد فادعُ لدنياك وآخرتك[٨] .

ونحو هذا قال الزهري : «إذا قضيت التشهد فادعُ بعد التشهد بكل حاجتك»[٩] .

---

(١) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨١ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٣٧ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٧٣ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٦ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٥٢ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٦ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٦ب ، والنكت والعيون ٤/ ٥٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٣ مختصراً ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٥٢ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن نصر .

(٣) تفسير مقاتل ٢٤٤أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٣ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٢ .

(٤) معالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٢ ، وإلى مثل هذا ذهب ابن عباس في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٧ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) في (أ) : (المسلة) .

(٧) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، والدر المنثور ٨/ ٥٥١ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٨) معالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٣ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧ .

(٩) ورد معنى قوله في زاد المسير ٨/ ٢٧٣ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٢ .

وروى منصور ، عن مجاهد : إذا فرغت بعد أمر دنياك (فانصب) فصل[١] .

٨. (قولـه تعالى)[٢] : ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ ؛ اجعل رغبتك إلى ربك ونيَّتك له[٣] .

وقال عبدالله : «إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل»[٤] .

وسئل علي بن أبي طلحة عن هذه الآية ، فقال : «القول فيه كبير ، وقد سمعنا أنـه يقال : إذا صححت فانصـب ، يعني : اجعل صحتـك ، وفراغك نصباً في العبـادة»[٥] . وهو قول أبي عياض ، يدل على هـذا ما روي أن شريحاً مَرَّ برجلين يصطرعان ، فقال : «ليس هذا أُمِرَ الفارغ ، إنما قال الله : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾»[٦] .

---

(١) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٦ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧ بمعناه ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٣ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٠٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٢ ، وإليه ذهب ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦٢ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد معنى هذا القول عن مجاهد . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٣٧ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٩ ، وورد أيضاً عن الثوري . انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦٢ .

(٤) ورد في النكت والعيون ٦/ ٢٩٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، وزاد المسـير ٨/ ٢٧٣ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧ ، والجامع لأحكام القـرآن ٢٠/ ١٠٨ ، ولباب التأويـل ٤/ ٣٩٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٣ ، والدر المنثور ٨/ ٥٥١ منسوباً إلى ابن المنذر ، وإلى ابن أبي حاتم .

(٥) زاد المسير ٨/ ٢٧٣ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧ .

(٦) ورد قوله في معاني القرآن ٣/ ٢٧٦ ، والكشـف والبيان ١٣/ ١١٦ب ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧ . قال ابن الأعرابي في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٠ بعد ذكره قول شريح : «وفيه نظر ، فإن الحبش كانوا يلعبون بالدَّرَقِ والحراب في المسـجد يوم العيـد ، والنبي ينظر» ، ورواه مسـلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين ، باب (٤) : . . . وليس يلزم الدؤوب على العمل ، بل هو مكروه للخلق ٢/ ٦٠٩ ح ١٨ .

وقال الحسن[١] ، وزيد بن أسلم[٢] : «إذا فرغت من جهاد العدو فانصب في عبادة ربك ، وإلى ربك فارغب» .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد تضرع إليه راهباً من النار ، وراغباً في الجنة»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «أي اجعل رغبتك إلى الله وحده»[٤] .

* * *

(١) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٧ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٧٣ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٦ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧ ، والكشاف ٤/ ٢٢٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٨ ، والدر المنثور ٨/ ٥٥٢ ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٢ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٨ .

(٢) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ١١٦ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٥٢ منسوباً إلى ابن حاتم .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه عن عطاء في فتح القدير ٥/ ٤٦٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤١ . قال الجصاص في أحكام القرآن ٣/ ٤٧٣ : «وهذه المعاني كلها محتملة ، والوجه حمل اللفظ عليها كلها ، فيكون جميعها مراداً ، وإن كان الخطاب للنبي فإن المراد به جميع المكلفين» .